من مطبوعات جماعة الجهاد

النشرة السابعة

الحـوار مـع الطــواغيـت

مقبرة الدعوة والدعاة

أعدت بإشراف

أيمـن الظـواهري

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا).

(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما).

أمـا بعـــد

أيها الإخوة المسلمون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الله تعالي (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ومايمكرون إلا بأنفسهم ومايشعرون) الأنعام 123.

ومن المكر السي ء الذي لاينتهي مسلسله ما دأبت عليه حكومات الطواغيت الحاكمين بغير شريعة رب العالمين بمصر وغيرها من استدراج القيادات الإسلامية إلي التنازل عن مفاهيم الإسلام الأساسية خاصة فريضة الجهاد في سبيل الله باسم الحوار والتفاوض. ومن هنا كانت هذه النشرة لتحذير المسلمين من الحوار مع الطواغيت.

وتشتمل هذه النشرة علي: -

الفصل الأول: في بيان كفر هؤلاء الطواغيت ووجوب جهادهم.

الفصل الثاني: في بيان أن طلب الطواغيت للتنازلات سنة قدرية لاتتبدّل.

الفصل الثالث: نماذج من الحوار مع الطواغيت وآثاره.

الفصل الرابع: تحذير المسلمين من الحوار مع الطواغيت

الفصل الخامس: متي نصر اللـــــــه؟.

الفصل الأول

في بيان كفر هؤلاء الطواغيت

ووجوب جهادهم

أما كونهم كفارا مرتدين، فلقوله تعالي (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة 44، وذلك لأن مايفعله هؤلاء هو نفس صورة سبب نزول الآية: وهو تعطيل حكم الشريعة الإلهية واختراع حكم جديد وجعله تشريعا مُلِزما للناس، كما عطّل اليهود حكم التوارة بالرجم واخترعوا تشريعا بديلا، وصورة سبب النزول قطعية الدخول في النص بالإجماع (الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 28/1 - 30). وهذا ماأشار إليه إسماعيل القاضي كما نقل ابن حجر (وقال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» بعد أن حكي الخلاف في ذلك: ظاهر الآيات يدل علي أن من فعل مثل مافعلوا واخترع حكما يخالف به حكم الله وجعله دينا يُعمَلُ به، فقد لَزِمَه مثل مالزمهم من الوعيد المذكور حاكما كان أو غيره) (فتح الباري 120/13) قلت: قوله (وجعله دينا يُعمَل به) أي جعله نظاما مُلزِماً للناس، فالدين - في أحد معانيه - يطلق علي نظام حياة الناس حقا كان أو باطلا، لأن الله سَمَّي ماعليه الكفار من الضلال دينا، فقال تعالي (لكم دينكم ولي دين).

وممن أفتى بكفر هؤلاء الحكام - كفرا بواحا أكبر - من العلماء المعاصرين: -

العلامة الشنقيطي حيث قال (ومن هدي القرآن للتي هي أقوم - بيانه أن كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفرٌ بواحٌ مخرجٌ من الملة الإسلامية)، أضواء البيان - 3 /439. وقال الشنقيطي رحمه الله (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان علي ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا علي ألسنة رسله صلي الله عليهم وسلم، أنه لايشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) (أضواء البيان 83،/4 84) ويُرَاجع أيضا (أضواء البيان 162/7 - 173، 584/7 - 590، 614/7)

وقال الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله (ومثل هذا وشرّ منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بماأنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمَّى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها...) اهـ (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ط أنصار السنة، هامش ص 396).

وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله (أفيجوز - مع هذا - في شرع الله أن يُحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربة الوثنية الملحدة؟ بل بتشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيّرونه ويبدّلونه كما يشاءون - إلي أن قال - إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس. هي كفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداورة. ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائنا من كان - في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها) (عمدة التفسير 173/4 - 174)

وقال الشيخ محمود شاكر رحمه الله (وإذن، فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، ولافي إصدار قانون مُلزم لأهل الإسلام بالاحتكام إلي حكم غير الله في كتابه وعلي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم. فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر علي حكم الله سبحانه وتعالي، وهذا الكفر لايشك أحد من أهل القبلة علي اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه) (عمدة التفسير 4 /157).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله مفتي السعودية السابق في رسالته (تحكيم القوانين) قال (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة مانزل به الروح الأمين علي قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عزوجل «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» - ثم ذكر الشيخ ابن إبراهيم أن الحكم بغير ماأنزل الله يكون كفرا أكبر في أحوال، الخامس منها

يصف واقع المسلمين وصفا دقيقا، فقال - (الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا وتفريعا وتشكيلا وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات مرجعها كلها إلي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملفق من شرائع شتي، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، من مذاهب بعض البدعيين والمنتسبين إلي الشريعة وغير ذلك. فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرّهم عليه،وتحتّمه عليهم.فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة.)اهـ

ونقتصر على هذه النقول اختصارا

فإذا كفر الحاكم لسبب من الأسباب السابقة أو غيرها من أسباب الردّة، فقد سقطت طاعته ووجب خلعه، فإن كان ممتنعا بشوكة وقوة فقد وجب قتاله لخلعه، وذلك لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا:«أن بايعناعلي السمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأَثَرةٍ علينا، وأن لاننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان» متفق عليه.واللفظ لمسلم.

وفي شرح هذا الحديث قال النووي (قال القاضي عياض: «أجمع العلماء علي أن الإمامة لاتنعقد لكافر، وعلي أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل - إلي قوله - فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب علي المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولايجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلي غيرها ويفر بدينه) (صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة ج 12 ص 229). وقال ابن حجر - إذا كفر الحاكم - وملخصه أنه ينعزل بالكفر إجماعا فيجب علي

كل مسلم القيام في ذلك) (فتح الباري 123/13).

ونضيف إلي ماذكره القاضي عياض، أنه إذا عجز المسلمون عن الجهاد فإنه يجب عليهم إعداد القوة وجوبا لقوله تعالي (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) الأنفال، (وقال ابن تيمية رحمه الله (كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب) (مجموع الفتاوي 259/28). هذا وقد جعل الله سبحانه إعداد العدة للجهاد فُرقاناً بين المؤمن والمنافق وذلك في قوله تعالي (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) التوبة 47.

واعلم ياأخي أن جهاد هؤلاء الحكام المرتدين فرض عين علي كل مسلم من أهل هذه البلاد المحكومة بغير شريعة الإسلام، وذلك لأن هؤلاء الحكام عدو كافر حل بعقر بلاد المسلمين وهذا من مواضع وجوب الجهاد العيني (المغني والشرح الكبير 366/10).

ونُنَبّه علي شبهة تطرأ للبعض في هذا المقام، منها مايقوله حامد أبو النصر مرشد الإخوان (الجهاد لايكون إلا ضد العدو الأجنبي للوطن) جريدة النور 1407/4/1 هـ.

فنقول: إنه لافرق بين أن يكون العدو الكافر أجنبيا عن البلد أو من أهلها فارتدّ وتسلّط عليها، إذ إن علة وجوب قتاله: الكفر، وليست العلة كونه أجنبيا أو وطنيا، فضلا عن أن الكافر قد صار بكفره أجنبيا عن المسلمين أهل البلدة وذلك لقوله تعالي (قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) هود 46، والذين يفرّقون بين الكافر الأجنبي والوطني كالذي يفرّق بين الخمر المستورد والمحلي، فلا يخفي أن كلا الخمرين حرام لأن علة التحريم وهي الإسكار ثابتة في الخمرين، وكذلك فإن علة وجوب القتال ثابتة في الكَافِرَيْن الأجنبي والوطني، بل إن هذا الذي نسميه بالكافر الوطني أغلظ كفراً لكونه مرتداً كما قال ابن تيمية رحمه الله (وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي)(مجموع الفتاوي 478/28). ولأن جهاد هؤلاء الحكام المرتدين فرض عين، فقد قال ابن حجر (فيجب علي كل مسلم القيام في ذلك)(فتح الباري 123/13). ومعني أن جهاد هؤلاء الحكام فرض عين أن المتخلف عنه - بعد علمه بوجوبه - مرتكب لكبيرة، فاسق، وذلك للوعيد الوارد في حق تارك الجهاد العيني كما في قوله تعالي (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) التوبة 39.

مما سبق تري ياأخي المسلم أن كيفية مواجهة هؤلاء الحكام مقررة بالنص والإجماع وقد تقرر وجوب جهادهم، وقال تعالي (وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الأحزاب 36.

* * * *

الفصل الثاني

في بيان أن طلب الطواغيت للتنازلات

سنة قدرية لا تتبدل

قال تعالي «وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره، وإذاً لاتخذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لاتجد لك علينا نصيرا. وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لايلبثون خلافك إلا قليلا. سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا» الإسراء 73 - 77. وفي هذه الآيات يقول الأستاذ سيد قطب

رحمه الله: (يعدّد السياق محاولات المشركين مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأولها محاولة فتنته عما أوحي الله إليه، ليفتري عليه غيره، وهو الصادق الأمين.

لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى... منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وماكان عليه آباؤهم. ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الذي حرمه الله. ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء.

والنص يشير إلي هذه المحاولات ولايفصّلها، ليذكر فضل الله علي الرسول في تثبيته علي الحق، وعصمته من الفتنة، ولو تخلي عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلا. وللقي عاقبة الركون إلي فتنة المشركين، وهي مضاعفة العذاب في الحياة والممات، دون أن يجد له نصيرا منهم يعصمه من الله. هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، وهي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائما. محاولة إغرائهم لينحرفوا - ولو قليلا - عن استقامة الدعوة وصلابتها. ويرضوا بالحلول الوسط التي يُغْرُونهم بها في مقابل مغانم كثيرة. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يري الأمر هيِّنا، فأصحاب السلطان لايطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان علي حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها !.

ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلي الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لايملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة. لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلي الوراء !.

والمسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها. فالذي يتنازل عن جزء منها مهما صغر، والذي يسكت عن طرف منها مهما ضؤل، لايمكن أن يكون مؤمنا بدعوته حق الإيمان. فكل جانب من جوانب الدعوة في نظر المؤمن هو حق كالآخر. وليس فيها فاضل ومفضول. وليس فيها ضروري ونافلة. وليس فيها مايمكن الاستغناء عنه، وهي كلٌّ متكامل يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه. كالمركب يفقد خواصه كلها إذا فقد أحد عناصره ! وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات. فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان إلي تسليم الصفقة كلها !

والتسليم في جانب ولو ضئيل من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلي صفها، هو هزيمة روحية بالاعتماد علي أصحاب السلطان في نصرة الدعوة. والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم. ومتي دبت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصرا !

ولذلك امتن الله علي رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن ثبته علي ما أوحي الله، وعصمه من فتنة المشركين له، ووقاه الركون إليهم - ولو قليلا - ورحمه من عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفا، وفقدان المعين والنصير)اهـ (في ظلال القرآن) 2245/4 - 2246

* * * *

الفصل الثالث

نماذج من الحوار مع الطواغيت
وآثاره في طمس معالم الدين

إن الناظر في تاريخ الحركة الإسلامية القريب يري كيف أن ما تسمي بـ (كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة) وهم الإخوان المسلمون، يري كيف سقطت هذه الجماعة في فخ الحوار مع الحكومة بداية من مرشدهم الأول البنا وإلي الآن.

فالبنا كان لايكفّر الملك فاروق الحاكم بغير ماأنزل الله بل سير مظاهرة من عشرين ألفا من الإخوان لمبايعة الملك الكافر (مذكرات الدعوة والداعية - المؤتمر العام الرابع - ط المكتب الإسلامي 1399 هـ ص 234 - 237)، ولما زَجَّ الملك بالإخوان في السجون عام 1948، لجأ البنا إلي الاسترحام والاستعطاف لا الحوار، فالتقي بالوزير النصراني كريم ثابت باشا رجل الملك - بوساطة الصحافي مصطفي أمين - وقال البنا إن الجماعة انحرفت باشتغالها بالسياسة وأنها تعرض على الملك أن تعود هيئة دينية لاصلة لها بالسياسة وأن تؤيد العرش وتحارب الشيوعية (جريدة مايو المصرية 1984/5/8 ص 5). ولم يتم للبنا ماأراده، والنهاية معلومة.

ثم جاء جمال عبدالناصر فاحتوى بعض قادة الإخوان كعبدالرحمن السندي وغيره، وضربهم بعضهم ببعض وفرّق الجماعة، ثم ضربها بعد ماقضي منها حاجته إذ أيدت ثورته في البداية حتي وطّد أقدامه في البلاد فاستغنى عنهم فضربهم وقتل قادتهم وعذّبهم عذابا يفوق التصور. (انظر ذكريات لامذكرات للتلمساني ص 277 ومابعدها) وظل الإخوان في السجون حتي جاء أنور السادات إلي الحكم، وهنا يقول عبدالحليم خفاجي - أحد الإخوان - في كتابه (عندما غابت الشمس ط 1983 ص403)، قال (إن عمر التلمساني أراد أن يسدّ فجوة عدم الثقة بيننا وبين المسئولين في الدولة، وأن يفتح طريقا للتفاهم لطرد هذه الصفحة السوداء، فرفع إلي المسئولين عن طريق إدارة السجن مذكرة كبيرة حول أهمية اللقاء المباشر مع من يهمهم الأمر كبديل لهذه الأساليب البربرية، فعل ذلك إعذاراً إلي الله، وتحمّل بعض العنت من قلة من الإخوان أبوا هذه الخطوة عليه) اهـ.

ثم خرج الإخوان من السجن وهنا يقول التلمساني:(جاءني في عام 1973م فضيلة الشيخ سيد سابق وأخبرني أن السيد أحمد طعيمة وكان وزيرا في عهد السادات جاءه وأخبره أن السادات علي استعداد للقاء بعض الإخوان المسلمين المعروفين لإزالة ما في النفوس والتعاون علي خدمة الوطن، وكان ذلك قبل استبعاد الخبراء السوفيت بقليل فرحبت بالفكرة، وذهبت إلي فضيلة المرشد حسن الهضيبي الذي كان في الإسكندرية وأخبرته بحديث الشيخ سيد سابق معي، فقال لي إن الفكرة لابأس بها إن صحت النوايا عند أصحابها، وكلّفني أن أستمر في المفاوضات) (ذكريات لامذكرات ص 113 - 114). وهكذا ياأخي حوار فمفاوضات فتنازلات عن المباديء منها: -

أ - أن أسبغ الإخوان الشرعية علي الحكومة الكافرة، يقول مرشدهم أبو النصر (لانضع أيدينا أبدا في أيدي القائلين بتكفير الحاكم) جريدة النور 1407/3/24 هـ. وأصدر الشعراوي والغزالي بيانهم المشئوم في 1989/1/1، يقولون فيه إنهم يعتقدون (في إيمان المسئولين بمصر وأنهم لايردّون علي الله حكما ولاينكرون للإسلام مبدأ) وقد رددنا علي هذا البيان في نشرتنا الرابعة فراجعها، أما الإخوان فقد أيدَّوا البيان الذي يعترف بإيمان الحكام، ولابد أن يؤيدوه، كيف لا وقد بايعوا الحاكم المرتد عام 1987؟.

ب - وأسبغ الإخوان الشرعية علي الوسائل الكفرية التي تدين بها الحكومة، فاعترفوا بشرعية الديمقراطية التي تسلب حق التشريع من الله وتمنحه للشعب، ودخلوا مجلس الكفر المسمى بمجلس الشعب، مجلس الأرباب الذين يشرعون للناس، (انظر نشرتنا الخامسة وفيها نقد الديمقراطية وفيها رد علي فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز بجواز دخول مجلس الشعب)، يقول مرشدهم أبو النصر (نريدها ديمقراطية شاملة وكاملة للجميع) مجلة العالم 1986/6/12، وقال:إن الانتخابات الوسيلة المشروعة للتغيير (مجلة لواء الإسلام 1409/11 هـ ص 5) وقالها من قبله عمر التلمساني (مجلة الاعتصام 1407/8 هـ ص 25)، ولأن الديمقراطية تقضي بحق الجميع في إبداء الرأي - دون تفريق بسبب الدين والعقيدة كما يقضي بذلك الدستور في المواد 40 و 47 - فقد قال أبو النصر (لامانع من وجود حزب شيوعي أو علماني في ظل الحكم الإسلامي) جريدة النور 1407/3/24 هـ.وأين حدُّ الردة الواجب إقامته علي

الشيوعي؟ وأي إسلام هذا الذي يتحدث عنه الإخوان؟.

ج - وترتب علي الحوار والمفاوضات إنكار الإخوان للجهاد (وقد أسموه: العنف والإرهاب)، قال التلمساني (العنف وسيلة العاجزين عن الإقناع) جريدة الجمهورية 1981/12/28، وقال أيضا (الإخوان يؤمنون بأن التحول عن القوانين الوضعية إلي القوانين الإسلامية لابد أن يأخذ طريقه المشروع دون عنف أو إرهاب)(ذكريات لامذكرات ص 36). ويقول حامد أبو النصر (لم يحدث أن أقرّ الإخوان استخدام العنف ضد الحكم) جريدة النور، غرة ربيع الآخر 1407 هـ.، ويقول أبو النصر (لن نأتي إلي الحكم إلا إذا استدعينا لهذا عن طريق الانتخابات) جريدة النور 1407/3/24 هـ. وشباب الإخوان المخدوع يعتبر هذه الأقوال من باب (التقية) ولايدري أن هذا تبديل لأحكام الدين المستقرة كما بدّل اليهود والنصاري دينهم، وقال صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم) متفق عليه. وننصح الشباب بقراءة نشرتنا الخامسة.

د - وتَرَتَّب علي المفاوضات أن تحوّل الإخوان إلي عملاء للحكومة الكافرة يسبغون الشرعية علي حكمها وديمقراطيتها وينكرون علي من ينادي بجهادهم، وتحوّل الإخوان إلي طابور خامس يمزّق جسد الحركة الإسلامية بمصر ويصيب الحركة بالتخدير والشلل، وهذا ليس من عندنا بل هو كلامهم، قال مأمون الهضيبي (إن جود الجماعة يمثل مصلحة للحكومة لأنها تلجأ إلينا كثيرا لضبط التيار الديني المتطرف) جريدة الشرق الأوسط 1987/5/11، وقال التلمساني (أنا علي اتصال دائم بأجهزة الداخلية لمساعدتها في ترسيخ الأمن - إلي أن قال - وكان من فضل الله عليَّ ماذهبت إلي كلية ثائرة لأمر من الأمور إلا وعدت موفقا وكان جهدي موضع شكر المسئولين في وزارة الداخلية - إلي أن قال - وكنت ألتزم الموضوعية البحتة وأدعو إلي ضبط الأعصاب عند الأحداث المثيرة حتي قال لي أحد المعتقلين من أحد الأحزاب في سبتمبر (أيلول) إنني جمدت أعصاب الشباب ووضعتها في ثلاجة) (ذكريات لامذكرات ط 1985 ص 175 - 176). أي أمن هذا الذي يساعد التلمساني في ترسيخه؟ أهو الأمن الذي يستحل دماء المسلمين ويمزّق أجسادهم؟ أم هو الأمن الذي يسبي النساء المسلمات ويستبيح أعراضهن (ذكرت تقارير منظمة العفو الدولية أن سبعين امرأة مسلمة قد اغتصبن في

السجون المصرية لإجبار الرجال الهاربين علي الاستسلام ولإجبار المعتقلين علي الاعتراف)؟ أم هو الأمن الذي يضع العصي في أدبار الرجال؟ أم هو الأمن الذي يدرّب الكلاب علي فعل الفاحشة بالرجال؟ وكل هذا يحدث ياأخي المسلم في سجون فرعون بمصر وعلي أيدي جند فرعون، وأول من حدث لهم كل هذا هم الإخوان المسلمون باعترافهم في كتبهم.

هذه ياأخي هي نهاية سلسلة الحوار والمفاوضات والتنازلات. وماحدث مع الإخوان يحدث اليوم مع بعض المسجونين في قضية الفنية العسكرية إذ يعرض بعضهم اليوم التنازلات والخيانة ويطلب ود الحكومة، فقد طالعتنا الصحف المصرية الصادرة هذه الأيام بخبر يقول (أربعة سجناء من قضية الفنية العسكرية يعلنون أسفهم وهاجموا التطرف والعنف، وهم حسن السحيمي ومحمد ياسر السعيد وهاني الغزنواني الذين ينفذون أحكاما بالأشغال الشاقة المؤبدة، وقالوا إننا نحذر الشباب من خطر المجموعات الأصولية ولاتكرروا أخطاءنا، استشيروا الفقهاء والعلماء ولاتختاروا أي منظمة أصولية. وقال السحيمي: إن الحاكم الذي يمارس الشعائر الدينية ويصوم ويعلن ممارسة الحكم طبقا لتعاليم الإسلام لايكون هدفا للجرم) اهـ.

وهذا الذي حدث في مصر يحدث في بلدان أخري، ومن هذا مافعلته حركة الاتجاه الإسلامي بتونس من إسباغ الشرعية علي نظام الحكم الكافر، وخداعهم للمسلمين بتونس بإيهامهم أن عداء الإسلاميين كان عداءً نحو شخص بعينه (بو رقيبة) لانحو نظام كافر. قالت مجلة المختار الإسلامي: (والمجلة ماثلة للطبع طيرت وكالات الأنباء خبرا كان له أطيب الأثر علي نفوس أبناء الحركة الإسلامية.. لقد أطلق سراح الشيخ الجليل والداعية الإسلامي الفاضل الأستاذ راشد الغنوشي رائد حركة الاتجاه الإسلامي بتونس عشية عيد الفطر المبارك وكان العيد عيدين والفرحة فرحتين.

لقد جاء هذا التطور بعد وصول رسالة نقلت عن الشيخ عبدالفتاح مورو الأمين العام للحركة والمقيم في الخارج أكد فيها علي ثلاث نقاط:

* الأولي: أن حركة الاتجاه الإسلامي ترفض العنف قطعيا في برنامجها السياسي وتتمسك بالعمل في إطار الشرعية الدستورية وترغب في المشاركة في الحياة السياسية ضمن ميثاق

وطني شامل يسع مختلف وجهات النظر علي أساس من الاحترام المتبادل و التقيد بالقانون.

* الثانية: أن حركة الاتجاه الإسلامي تعتبر أن تناقضها مع السلطة قد انتهي مع نهاية الرئيس السابق بسبب عداوته الشديدة للإسلام وللحرية كما أنه ليس لديها تحفظات للتعاون مع الرئيس ابن علي لإجاز شعارات تحول نوفمبر وضمان الاستقرار الوطني الشامل كشرط رئيسي لمواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

* الثالثة: أن الحركة لاتدعي أبدا أنها الناطق الرسمي باسم الإسلام ولاتطمع أن ينسب إليها هذا اللقب يوما ما لأنها تؤمن أن الإسلام دين التونسيين جميعا ولكنها تعتقد أن ذلك لايمنع اعتمادها الأرضية الإسلامية في بلورة برامجها الثقافية والسياسية علي أن يظل الشعب حكما رئيسيا بين البرامج المختلفة مثلما يقع الآن في بعض الدول العربية.

وقد درس الرئيس ابن علي الرسالة التي وصلته قبل أكثر من شهر عن طريق شخصية سياسية مهمة دخلت الحكومة في آخر تغيير وزاري، ويبدو أن محاولات بذلت للتحاور في شأنها في تونس مباشرة مع الشيخ الغنوشي، ولكن هذا الأخير اعتذر عن عدم الحوار من داخل السجن لتعذر الإحاطة بالمعطيات الضرورية واستحالة الاتصال ببقية أعضاء قيادة الحركة في الداخل والخارج. لذلك قرر الرئيس ابن علي اطلاق سراح السيد راشد الغنوشي ويتوقع أن تنطلق في القريب العاجل جولة من المباحثات بينه وبين ممثلين للرئيس شخصيا)(مجلة المختار الإسلامي 1408/11 هـ - ص 90). وكما تري يا أخي فهي نفس القصة حوار فاعتراف بالشرعية، وإنكار للجهاد (العنف)، وتمييع أهم قضايا الدين والعقيدة في نفوس المسلمين، ليطول بالمسلمين عصر التيه والذل تحت هيمنة النظم الحاكمة الكافرة، تلك النظم التي أفلحت في احتواء كثير من القيادات الإسلامية.

يقول الأستاذ محمود شاكر صاحب كتاب (التاريخ الإسلامي):(فقد تمكن الأعداء في الآونة الأخيرة وفي أشد الأوقات حاجة إلي المنظمات الإسلامية وإلي القيادات الإسلامية الرائدة التي تمثل الإسلام وتحمله بصفاء تمكنوا من احتوائها والسير بها في طريقهم المنحرف، وأعلنوا ذلك كي تسقط القيادات، وتسقط المنظمات وبالتالي تسقط المفاهيم التي يحملونها والتي لاتزال معروفة نظريا لقد احتوي أكثر زعماء منظمة إسلامية في المنطقة العربية، بل بقوا في جعجعة

دائمة يظهرون العمل للإسلام زيادة في التمويه علي شباب الإسلام والعاملين له، حتي أن أحدهم قد زعم أن الحكم الإلحادي في بلد يعمل للإسلام، ويضم أبناءه، ويحمي حماه وذلك بسبب ارتباطه به، وعمل عدد من الزعماء المنتفعين جبهة من ذلك الحكم الملحد، فأعيد الاعتبار لمن لفظهم الشعب، وأفتي المنتفعون بشرعية العمل مع الملحدين أو ادعوا أن بعض العلماء قد أفتي بذلك زورا وبهتانا. وأعلن بعض المغفلين الذين يبدو عليهم الصلاح عدم صحة مثل هذا العمل فلما تم إصدار نشرة بصحة ذلك شرعا مقتبسا بعض النصوص الشرعية، واستشهد بها في غير مكانها، وإيهاما للشباب ودجلا، وهذا التصرف سواء أكان من الأعداء أم من الأدعياء ليستمر الخداع، ثم تهوي المنظمات والدعاة معا، ويصفو الجو للأعداء. وليس الاحتواء غاية ولكنه وسيلة لأنه ستظهر منظمات جديدة وقيادات جديدة وستستمر الفكرة في طريقها ولكن الغاية تهديم الأفكار وفضح حامليها مع استمرارية قيادتهم والمناداة بفكرتهم رغم احتوائهم وانقيادهم لغيرهم)(التاريخ الإسلامي، ط المكتب الإسلامي 1407 هـ، ج 9ص 706)

هذه ياأخي هي بعض آثار الحوار والمفاوضات مع الطواغيت، صفقة متبادلة تحصل بعض القيادات الإسلامية علي حريتها بالخروج من السجون مع السماح لها بشيء من النشاط في مقابل بيع قضية الإسلام للطواغيت إذ تقوم هذه القيادات الإسلامية المفتونة بلبس الحق بالباطل وتقول للناس إن هذه الحكومات مسلمة وإن الديمقراطية هي الشرعية وهي وسيلة التغيير المشروعة الوحيدة وأن الإسلام ينكر العنف (أي الجهاد)، وكان هذا ضلالا مبينا.

وعن تمييع حقائق الدين يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله (وهذا التمييع هو أخطر مايعانيه هذا الدين في هذه الحقبة من التاريخ، وهو أفتك الأسلحة التي يحاربه بها أعداؤه، الذين يحرصون علي تثبيت لافتة «الإسلام» علي أوضاع، وعلي أشخاص، يقرر الله سبحانه في أمثالهم أنهم مشركون لايدينون دين الحق، وأنهم يتخذون أربابا من دون الله.. وإذا كان أعداء هذا الدين يحرصون علي تثبيت لافتة الإسلام علي تلك الأوضاع وهؤلاء الأشخاص، فواجب حماة هذا الدين أن ينزعوا هذه اللافتات الخدَّاعة، وأن يكشفوا ماتحتها من شرك وكفر واتخاذ أرباب من دون الله.. «وماأمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون»..)(في ظلال القرآن 1643/3).

وبعد ذكر النماذج السابقة للحوار وبيان آثاره المدمرة علي الإسلام وعلي مستقبل المسلمين، نقول إن الحكومة الكافرة بمصر قد حصلت علي اعتراف بشرعيتها من كافة الجبهات المعارضة لها بما في ذلك الإخوان المسلمون باستثناء جبهة واحدة وهي الجماعات الجهادية (المتطرفة بزعمهم) هذه هي الجبهة التي لاتعترف بشرعية الحكومة وتَصِمُها بالكفر والردة، وقد حاربت الحكومة جماعات الجهاد بكل ماتملك من السجن والتعذيب، والقتل والتشريد، وسبي النساء واغتصابهم، وقطع الأرزاق، وندوات الرأي التي حشدت فيها الحكومة عشرات من عمائم السوء - ولانقول علماء - بدءًا من شيخ الأزهر إلي أئمة المساجد، وأطلقت الحكومة الحرية للإخوان للمشاركة في الانتخابات لإسباغ الشرعية علي الحكومة وأنظمتها. إلا أن كل هذا لم يفلح في وقف المد الجهادي. ولم يبق أمام الحكومة إلا اتباع سياسة الحوار والمفاوضات والاحتواء لبعض قيادات الجهاد ساعية في هذا بالمكر والخديعة واللين تارة وبالإرهاب تارة أخري. فهل ستنجح الحكومة في هذا وهل ستسقط بعض قيادات الجهاد كما سقط غيرها من قبل؟ نعوذ بالله تعالي من الخذلان، ونسأل الله تعالي أن يثبتنا وسائر المسلمين علي صراطه المستقيم حتي نلقاه سبحانه غير مبدّلين ولا مفرّطين.

* * * *

الفصل الرابـع

تحذير المسلمين من الحوار مع الطواغيت

ذكرنا في الفصل الثالث أمثلة لبعض الاتجاهات تفاوضت مع الطواغيت باسم الإسلام بما أدي إلي طمس معالم الدين واسباغ الشرعية علي أنظمة الكفر، وفي هذا الفصل نذكر عدة مسائل لتحذير المسلمين من الوقوع في هذه الهاوية.

وهذه المسائل هي: البراءة من الطواغيت ومعاداتهم ركن التوحيد، وبطلان مهادنة المرتدين، وبطلان ولاية الأسير، والتحذير من التقليد الأعمي.

أولا: البراءة من الطواغيت ومعاداتهم ركن التوحيد.

اعلم أن إيمان المرء لايصح إلا بالكفر بالطاغوت مع الإيمان بالله، فمن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت ولم يتبرأ منه لم يصح إيمانه، وذلك لقوله تعالي (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لاانفصام لها) البقرة 256، فلابد من الأمرين لصحة الإيمان، الكفر بالطاغوت (وهذا شق النفي) والإيمان بالله (وهذا شق الإثبات) وهذا هو معني لا إله إلا الله (نفي وإثبات).

وقد ورد الأمر بالكفر بالطاغوت صريحا في قوله تعالي (يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) النساء 60، ويدخل في مسمي الطاغوت الحكام المرتدون وأنظمتهم الكفرية، هذه يجب علي المسلم الكفر بها والبراءة منها لا التفاوض معها، والاعتراف بشرعيتها مما يناقض التوحيد.

ونحن - بحول الله وقوته - نعلن كفرنا بهذه الطواغيت وبراءتنا منها وندعو المسلمين إلي الاستمساك بهذه العروة الوثقي التي هي ملة إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء، كما قال تعالي (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتي تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة 4، يقول الشيخ حمد بن عتيق النجدي رحمه الله ((وها هنا نكتة بديعة في قوله:(إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله) وهي أن الله تعالي قدم البراءة من المشركين العابدين

غير الله، علي البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله، لأن الأول أهم من الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولايتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتيا بالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين، فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم. وهذا كقوله تعالي (وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسي ألا أكون بدعاء ربي شقيا). فقدم اعتزالهم علي اعتزال معبوداتهم، وكذا قوله: (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) وقوله (وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله).فعليك بهذه النكت، فإنها تفتح بابا إلي عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لايقع منه الشرك، ولكنه لايعادي أهله، فلا يكون مسلما بذلك إذ ترك دين جميع المرسلين).

ثم قال:(كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتي تؤمنوا بالله وحده) فقوله:(بدا) أي ظهر وبان وتأمل تقديم العداوة علي البغضاء، لأن الأولي أهم من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولايعاديهم، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتي تحصل منه العداوة والبغضاء، ولابد أيضا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين.

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنها لاتنفع حتي تظهر آثارها، وتتبين علاماتها، ولاتكون كذلك حتي تقترن بالعداوة والمقاطعة، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين. وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة، فإن ذلك يدل علي عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة. اهـ)) (مجموعة التوحيد ـ ط دار الفكر 1979 م - ص 376 - 378).

هذه ياأخي هي ملة إبراهيم عليه السلام، وقال تعالي:(ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين) النحل 123، واتباعك لهذه الملة يوجب عليك.

أ ـ البراءة من الحكام الكافرين وأعوانهم.

ب ـ البراءة من قوانينهم الوضعية بما فيها الاشتراكية والديمقراطية وسائر كفرهم.

ج ـ إظهار العداوة لهم وهذا يكون بكشف كفرهم للناس وتسفيه رأيهم ودينهم الكفري، وحضّ الناس علي عداوتهم وكراهيتهم، وقتالهم حتي يكون الدين كله لله.

فأين هذه البراءة ياأخي من الحوار مع الطواغيت ومد الجسور معهم؟ لاشك أن هذا الحوار يناقض التوحيد مناقضة تامة.

ثانيا: بطلان مهادنة المرتدين

يحاول البعض تمرير مسألة الحوار والتفاوض مع الطواغيت تحت اسم الهدنة مع الكفار وأن هذا جائز لمصلحة الإسلام، وفي هذا مغالطة فقهية ياأخي المسلم، فالفقهاء فرّقوا بين أصناف الكفار في جواز المهادنة والصلح. فالكفار إما أنهم كفار أصليون (أي لم يكونوا مسلمين من قبل) كأهل الكتاب والوثنيين، وإما مرتدون (وهم من ثبت لهم حكم الإسلام من قبل). والحكام الذين نتحدث عنهم يدخلون تحت الصنف الثاني، فهو مرتدون، والمرتد لايهادن بخلاف الكافر الأصلي.

قال الماوردي رحمه الله في الأحكام السلطانية ص 57 (فأما ماتفارق به - أي دار الردة - دار الحرب - أي الكفار الأصليين - فمن أربعة أوجه: أحدها أنه لايجوز أن يهادنوا علي الموادعة في ديارهم ويجوز أن يهادن أهل الحرب، والثاني: أنه لايجوز أن يصالحوا علي مال يقرون به علي ردتهم ويجوز أن يصالح أهل الحرب..) اهـ.وللقاضي أبي يعلى مثله (ص53).

والسبب في هذا ياأخي أن المرتد كفر بعد إسلامه، فكفر عن بصيرة وعن علم بما كفر به، فكانت جريمته أعظم من الكافر الأصلي، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله (وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) (مجموع الفتاوي 478/28)، وقال ابن تيمية - أيضا (وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة. منها أن المرتد يقتل بكل حال، ولايضرب عليه جزية، ولاتعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي. ومنها أن المرتد يقتل وإن كان عاجزا عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لايقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد. ومنها أن المرتد لايرث ولايناكح ولاتؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي. إلي غير ذلك من الأحكام)(مجموع الفتاوي 534/28).

مما سبق تعلم ياأخي المسلم أن مهادنة الحكام المرتدين أو مصالحتهم لاتجوز شرعا. من كان قادرا علي قتالهم فليقاتل، ومن عجز فَلْيُعِدّ العدة، قال تعالي (وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة) الأنفال 60، قال ابن تيمية رحمه الله (كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)(مجموع الفتاوي

.(259/28

ثالثا: بطلان ولاية الأســــــــرى

لعلك لاحظت ياأخي المسلم أن نماذج الحوار المذكورة في الفصل الثالث بدأت والطرف الإسلامي في السجن، أسيرا في أيدي الطواغيت، والأسير ساقط الولاية شرعا، أي أنه لا ولاية له - في شرع الله تعالي - علي العمل الإسلامي ولا علي غيره من العاملين للإسلام أو غيرهم، ولأن الأسير ساقط الولاية شرعا فإنه لايملك التفاوض مع العدو - هذا إذا جاز التفاوض - كما أنه لايملك حق السمع والطاعة علي أتباعه، وكيف يتفاوض الأسير وهو في قبضة عدو غالب يعذّبه ويستجوبه ويستبيح حرماته كلما شاء؟. هذه اسمها شروط العدو لفك الأسير أو شروط الاستسلام، لا المفاوضات.

واعلم ياأخي المسلم أنه لاخلاف بين أهل العلم في أن الأسير الميؤوس من خلاصه من أيدي الكفار أنه لاتجوز ولايته - عقدا واستدامة - لنقص تصرفه بالقهر، قال القاضي أبو يعلى (فإن صار مأسورا في يد عدو قاهر لايقدر علي الخلاص منه، منع ذلك من عقد الإمامة له لعجزه عن النظر في أمور المسلمين، سواء كان العدو مسلما باغيا أو كافرا، وللأمة فسحة في اختيار من عداه من ذوي القدرة)، وقال أبو يعلى أيضا (فإن أُسِرَ بعد أن انعقدت له الإمامة فعلي الأمة استنقاذه، لما أوجبته الإمامة من نصرته، وهو علي إمامته إذا كان يرجى خلاصه ويؤمَّل فكاكه إما بقتال أو فداء، وإن وقع الإياس منه نظرت فيمن أسره، فإن كان من المشركين خرج من الإمامة واستأنف أهل الاختيار بيعة غيره)(الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص 22) وللماوردي مثله (ص 20).

وكما تبطل ولاية الأسير فكذلك يبطل عهده إلي غيره بالولاية من بعده إذا عهد بها بعد الإياس من خلاصه، قال أبو يعلى (فإن عهد بالإمامة في حالة أسره، نظرت، فإن كان بعد الإياس من خلاصه لم يصح عهده لأنه عهد بعد خروجه من الإمامة، وإن كان قبل الإياس من خلاصه صح عهده لبقاء إمامته، واستقرت إمامة ولي عهده بالإياس من خلاصه لزوال إمامته) (الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص 22) و (الماوردي مثله) (ص 20).

مما سبق تعلم ياأخي أن مهادنة المرتدين غير جائزة وأن الأسري الذين - غالبا -

مايتصدون للتفاوض مع الطواغيت لا ولاية لهم شرعا علي غيرهم من أبناء الحركة الإسلامية.

رابعا: التحذير من التقليد الأعمى

تقليد الآباء والأسلاف والكبراء بغير دليل أو بخلاف الدليل الشرعي هو من أسباب كفر الكافرين وضلال الضالين من الأولين والآخرين قال تعالي (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا، أوَلَو كان الشيطان يدعوهم إلي عذاب السعير) لقمان 21. والباعث علي هذا التقليد هو التعصب للكبراء مع تعظيمهم وعدم تصور وقوع الخطأ منهم. والمقصد من هذا هو الموضوع الذي نحن بصدده هو تحذير المسلمين من متابعة بعض القيادات الإسلامية في تحريفها للدين وتمييع معالمه إرضاءً للطواغيت. ويجب علي كل مسلم أن يقدم موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم علي موالاة الناس وأن تكون الثانية تابعة للأولى كما قال تعالي (إنما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا) المائدة 55. كما يجب علي كل مسلم أن يدرك تماما أنه لا أحد معصوم من هذه الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن المرء قد ينقلب علي عقبيه ويرتد بعد إسلامه، وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوامٌ ثم ارتدوا بعد وفاته وهذا هو القَدَرُ الغالب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتي مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتعجبوا بعمل أحد حتي تنظروا بما يختم له، فإن العامل يعمل زمانا من دهره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا، وإن العبد ليعمل زمانا من دهره لو مات دخل النار ثم يتحوّل فيعمل عملا صالحا، فإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته فوفقه لعمل صالح) رواه أحمد عن أنس رضي الله عنه، قال الألباني إسناده صحيح (السنة لابن أبي عاصم 174/1).

وقال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالخواتيم) متفق عليه. لذلك ياأخي فإن الحي

لاتؤمن عليه الفتنة لأنه قد ينقلب علي عقبيه بعد حين، وقال ابن مسعود رضي الله عنه (لايقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر) (أعلام الموقعين 176/2). ولقد ضرب الله لنا مثلا لعالم انقلب علي عقبيه وكفر بعد إيمانه، تحذيرا لنا من فتنة التقليد الأعمي والتعصب، هذا المثل في قوله تعالي (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلي الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) الأعراف 175 - 176.

فتعلم دينك ياأخي واعرف الحق تعرف أهله وتعرف من يحيد عنه كي تنكر عليه (من رأي منكرا فليغيره)، ولاتكن إمعة تسير خلف قيادتك كيفما سارت فربما انحرفت القيادة فعليك بالنصح والإنكار، ولاتغلق عقلك عن التفكير وعن التمييز بين الحق والباطل، فإن قوما أغلقوا عقولهم فكان مصيرهم إلي النار، كما قال تعالى (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير، فاعترفوا بذنبهم، فسحقا لأصحاب السعير) الملك 11.

* * * *

الفصل الخامس

متى نصر اللـــــــه؟

ذكرنا في الفصل الثاني من هذه النشرة أن طلب الكافرين للتنازلات من دعاة الحق سنة قدرية لاتتبدل، ومع ذلك فإن طلب التنازلات ماهو إلا مرحلة، لأن الكافرين لن يهدأ لهم بال إلا بتنازل المؤمنين تنازلا كاملا عن الحق والعودة في ملة الكافرين ومناهجهم وأنظمتهم، كما قال تعالي (ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم) البقرة 120، وقال تعالي (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) النساء 89.

وفي سبيل هذا فإن الكافرين لا يدخرون جهدا لإرغام المؤمنين علي التنازل الكامل بدءا من السجن إلي القتل والقتال كما قال تعالي (ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) - ثم يأتي الوعيد الإلهي لمن يخضع له - (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون) البقرة 217، ومثل هذه الآية قول الله تعالي (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) الكهف 20، أي أن الكافرين في حال ظهورهم وقوتهم لن يقبلوا من المؤمنين إلا العودة في ملتهم الكافرة وإلا فالرجم والقتل، مع ذلك جاء أيضا الوعيد الإلهي لمن يخضع لهم ويعود في ملتهم (ولن تفلحوا إذا أبدا) ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالي (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) إبراهيم 13 - 14، نفس السنة القدرية: لم يقبل الكافرون من الرسل إلا العودة في ملة الكفر وإلا فالإخراج والطرد والنفي والسجن وكلها بمضمون واحد، ولما كان التنازل أمرا غير وارد عند الرسل عليهم السلام بل الثبات علي الحق فهناك أهلك الله الكافرين واستخلف في الأرض المؤمنين أهل خشية الله تعالي، وهذه هي سنة الاستخلاف القدرية لكل من رفض التنازل وثبت علي دينه الحق خشية من غضب الله تعالى وإيثاراً لما عند الله تعالي من أجر الصابرين، هنا يتنزل النصر (ومالنصر إلا من عند الله) ويثمر النصر الاستخلاف والتمكين في الأرض (وعد الله،

لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون) الروم 6.

وللأستاذ سيد قطب رحمه الله كلام طيب - في الآيات السابقة - فيقول في قول الله تعالي:

«وقال الذين كفروا لرسلهم: لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا» !

(هنا تتجلي حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهلية... إن الجاهلية لاترضي من الإسلام أن يكون له كيان مستقل. ولاتطيق أن يكون له وجود خارج عن وجودها. وهي لاتسالم الإسلام حتي لو سالمها فالإسلام لابد أن يبدوفي صورة تجمع حركي مستقل بقيادة مستقلة وولاء مستقل، وهذا مالا تطيقه الجاهلية. لذلك لايطلب الذين كفروا من رسلهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم، ولكن يطلبون منهم أن يعودوا في ملتهم، وأن يندمجوا في تجمعهم الجاهلي، وأن يذوبوا في مجتمعهم فلا يبقي لهم كيان مستقل. وهذا ماتأباه طبيعة هذا الدين لأهله، وما يرفضه الرسل من ثمَّ ويأبونه، فما ينبغي لمسلم أن يندمج في التجمع الجاهلي مرة أخري...

وعندما تسفر القوة الغاشمة عن وجهها الصلد لايبقى مجال لدعوة ولايبقي مجال لحجة، ولايسلم الله الرسل إلي الجاهلية...

إن التجمع الجاهلي - بطبيعة تركيبه العضوي - لايسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله، إلا أن يكون عمل المسلم وجهده وطاقته لحساب التجمع الجاهلي، ولتوطيد جاهليته ! والذين يخيل إليهم أنهم قادرون علي العمل من خلال التسرب في المجتمع الجاهلي، والتميّع في تشكيلاته وأجهزته هم ناس لايدركون الطبيعة العضوية للمجتمع. هذه الطبيعة التي ترغم كل فرد داخل المجتمع أن يعمل لحساب هذا المجتمع، ولحساب منهجه وتصوره...لذلك يرفض الرسل الكرام أن يعودوا في ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها...

وهنا تتدخل القوة الكبري فتضرب ضربتها المدمّرة القاضية التي لاتقف لها قوة البشر المهازيل، وإن كانوا طغاة متجبرين: «فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين. ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد». ولابد أن ندرك أن تَدَخُّل القوة الكبري للفصل بين الرسل وقومهم إنما يكون دائما بعد مفاصلة الرسل لقومهم... بعد أن يرفض المسلمون أن يعودوا إلي ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها.. وبعد أن يصروا علي تميزهم بدينهم وبتجمعهم الإسلامي الخاص بقيادته الخاصة. وبعد أن يفاصلوا قومهم علي أساس العقيدة فينقسم القوم

الواحد إلي أمتين مختلفتين عقيدة ومنهجا وقيادة وتجمعا... عندئذ تتدخل القوة الكبري لتضرب ضربتها الفاصلة، ولتدمر علي الطواغيت الذين يتهددون المؤمنين، ولتمكن للمؤمنين في الأرض، ولتحقق وعد الله لرسله بالنصر والتمكين.. ولايكون هذا التدخل أبدا والمسلمون متميعون في المجتمع الجاهلي، عاملون من خلال أوضاعه وتشكيلاته، غير منفصلين عنه ولامتميزين بتجمع حركي مستقل وقيادة إسلامية مستقلة) اهـ (في ظلال القرآن) 2092/4.

ولقد قال الرجل فصدق وعمل بما قال، وأبي أن يكتب كلمة واحدة يقر فيها للكافرين بالشرعية، ومضي إلي ربه صابرا محتسبا، فاللهم ارحمه رحمة واسعة. آمين.

هذه ياأخي حقيقة الصراع، فلتكن منه علي بينة، واصبر لحكم ربك، واثبت علي أمره فإن النصر مع الصبر وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا.

قال تعالي (حتي إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) يوسف 110 - 111.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم علي محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إصدار (جماعة الجهاد)

الطبعة الأولى في شوال 1409هـ - 1989 م.

الطبعة الثانية في جمادى الثانية 1412 هـ - ديسمبر 1991

نصيحـــــة

هذه النشرات ياأخي المسلم تحتوي على علم نافع بإذن الله تعالى، فنحن لانذكر قولا إلا مؤيدا بالأدلة الشرعية ولله الفضل والمنة، ونريدك أن تلتزم بهذا المنهج حتي لايخدعك قطاع الطريق إلى الله باسم الدعوة إلى الله. فاجتهد ياأخي أن تنشر هذه النشرات بين إخوانك ومعارفك وسائر المسلمين عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم (بلّغوا عني ولو آية) رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم (ألا ليبلغ الشاهد الغائب) متفق عليه. فتكون قد حزت ياأخي ثواب نشر العلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم (من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم (لأنَ يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) متفق عليه. واعلم ياأخي أن نشرك لهذه النشرات هو جهاد في سبيل الله تعالى، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وجزى الله كل من ساهم في نشر هذه النشرات خيرا كثيرا. آمين.

* * * *